

قراءة في مكتبة أديب الفقهاء الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله

(٢٣ جمادى الأولى ١٣٢٧ هـ - ١٩٠٩ م - عام ١٩٩٩ م الموافق ٤ ربيع الأول ١٤٢٠ هـ)

بقلم : وضاح بن هادي

<http://saaid.net/Doat/wadah>

تقدمة :

بعد بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحابه ومن والاه

بادئ ذي بدء أشكر الله على ما منّ به علينا من بلوغ هذا الشهر الكريم (شهر رمضان)، وأسأله سبحانه أن يتقبله منّا ومنكم ومن المسلمين أجمعين.

ثم الشكر لهذا الصرح الثقافي الكبير (نادي أدبي جدة) على ما يوليه من مسئولية مجتمعية ثقافية تأخذ بالمجتمع إلى حيث الوعي الذي يتطلبه عصر الثورة المعلوماتية.

وأقولها في بداية هذه الأمسية : كم هي مناسبة جميلة أن نتحدث في مثل هذا الشهر (رمضان) عن الشيخ الأديب الفقيه القاضي علي الطنطاوي رحمه الله، ونحن نتذكر إطلالته التي كان يطل بها علينا بروحه الخفيفة الرشيقة وأسلوبه المحبوب الظريف قبل وجبة الإفطار، فلأن رحل علي الطنطاوي رحمه الله فإن ذكرياته لم ترحل.

وأذكر أن إحدى الأخوات مرةً وهي تحكي عن تلك الذكريات، تقول بمجرد أن يطلّ علي الطنطاوي عبر شاشة التلفاز وإذ بوالدائي ينادونني ويقولان : تعالِ جدك علي على التلفاز ..

حين نتحدث عن الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله فنحن نتحدث عن قامة علمية تربوية أدبية ثقافية اجتماعية إصلاحية، أثنى عليه مشايخه منذ وقت مبكر، حتى قال عنه أستاذه الشيخ محمد بهجة البيطار : (نابغة الشام)، وهو لا زال دون الثلاثين من عمره.

الشيخ علي الطنطاوي لم يكن أدبيا فحسب، بل هو نجما من نجوم الدعوة والخير والجمال، كان يجمع في عظاته وتأليفه بين العلم والأدب، وبين الإقناع والإمتاع. استحق أن ينال اللقب الذي لُقّب به الجاحظ (أديب الفقهاء، وفقه الأديباء) .. يتجلى هذا في ما سطره من كتب ومقالات، وما فاض به لسانه من حُطَب ومحاضرات، أو دروس وإفتاءات كان يرتجلها لتوّه، ولا يكتبها أو يُحضرها.

ولذا والله أقولها صادقا، إنه لا يليق بمثلي أن يتحدث عن قامة كهذه، أفخجلا، لكن حسبي أن مثل هذا اللقاء ليست قراءة ناقدة، وإنما قراءة تعريفية، ما هو إلا تعريف وإطالة على حياة ونشأة وكتب ومؤلفات وما يميز كتابات الشيخ الأديب علي الطنطاوي رحمه الله.

عنصرين رئيسيين سينصب حديثنا حولهما :

المحور الأول : إطالة سريعة حول نشأته ومسيرته العلمية والعملية.

المحور الثاني : أيضا إطالة وتعريفات سريعة بكتب ومؤلفات الشيخ الطنطاوي رحمه الله.

✚ إطالة حول نشأته وأسرته وحياته العلمية والعملية :

الشيخ علي الطنطاوي نشأ في أسرة علمية، فجدّه الشيخ أحمد الطنطاوي من العلماء، وكان إماما في الجيش العثماني، وتحدث الشيخ علي عن جدّه هذا (أحمد بن علي بن مصطفى) في الذكريات (ج ١/١٣٣).

وأما أبوه الشيخ مصطفى الطنطاوي فقد كان من العلماء المعدودين في الشام، وانتهت إليه أمانة الفتوى، وتحدث عنه أيضا في الذكريات (ج ١/٧١)، يقول: 'كنت منذ وعيت أجد - إذا أصبحت - مشايخ بعمائم ولحي يقرؤون على أبي، وكنت أدخل بالماء أو بالشاي، فالتقط كلمة لا أفهم معناها ولكن تبقى في نفسي ذكراها، ثم صار أبي يأمرني أن أأوله الجزء الأول من حاشية ابن عابدين، أو الثاني من الفتاوى الهندية، أو جزءا من القاموس، فمن حينها عرفت بعض أسماء الكتب..

وقد توفي أبوه رحمه الله وعمره ست عشرة سنة.

ثم ماتت أمه وهو في الرابعة والعشرين، فكانت تلك واحدة من أكبر الصدمات التي تلقاها في حياته.. يقول حفيده مجاهد مأمون: 'ولقد شهدته مرارا يذكرها ويذكر موتها - وقد مضى على موتها ستين سنة - وأشهد ما تحدث بذلك إلا وفاضت عيناه'.

وإن شئتم أن تتعرفوا على تلك المشاعر التي كان يُكنّها عن أمه؛ فاقروا الفصل الذي وصف فيه موتها في ذكرياته (ج ٢/١٢٤).

أقتطع لكم جزء منه، يقول رحمه الله: 'وجاء اليوم الأسود، وكان يوم أربعاء أذكره تماما، وكان في الثاني والعشرين من صفر سنة ١٣٥٠، مرّ عليه ثلاث وخمسون سنة، ولا تزال ذكراه ماثلة أمام عيني، كأنه قد كان أمس.. وذهبنا، وكان أستاذ الجراحة الدكتور نظمي القباني حاضرا، فأدخلها إلى غرفة العمليات رأسا، ووقفت أنتظر كما يقف المتهم أمام محكمة الجنائيات ليسمع الحكم له بالبراءة أو عليه بالموت. وطال وقوفي، وثقلت الدقائق عليّ حتى لأحسّ طقطقة الساعة الكبيرة على الجدار فوق رأسي كأنها مطارق تنزل عليه، إلى أن فتح الباب وخرج الدكتور صبري يقول: لا بد من بتر الساق، فاكتب هنا أنك موافق. ولم يدع لي وقتا للتفكير، لأن الأمر - كما قال - لا يحتمل التأخير، فكتبت، وأخذ الورقة ودخل، ولبثت مثل المشدوه أفكر كيف تدخل بساقين وتخرج بساق واحدة. وكبر عليّ الأمر، ونسيت أن بعض الشر أهون من بعض، وأن الإنسان يتمنى المصيبة إذا واجه ما هو أكبر منها. لقد تمنيت بتر الساق حين فُتح الباب وظهر الدكتور صبري، ينطق وجهه قبل أن ينطق لسانه، يُخبر أن أمي لن تخرج بساق ولا بساقين، لن تخرج إلا محمولة على الأعناق... لقد ماتت أمي.. لن أكمل عليكم بقية المشهد، وإنما أترككم تكملونه بأنفسكم (في الذكريات المجلد ٢/١٣١)، ولكن لن تتمكنوا من قراءته إلا بصحبة مناديلكم التي تمسحون بها دموعكم التي لن تملكوا لها حبسا ولا رداً.

وأسرة أمه أيضا من الأسر العلمية في الشام، فخاله هو محب الدين الخطيب، صاحب مجلتي الفتح والزهراء، اللتين كان لهما دور كبير في الدعوة وأثرها على المسلمين في مطلع القرن العشرين.

الشيخ علي بن مصطفى الطنطاوي رحمه الله يُعتبر من أوائل الذين جمعوا بين طريقي التلقي على المشايخ والدراسة في المدارس النظامية، درس في الشام، وانتقل بعدها لمصر، ثم عاد إلى دمشق والتحق بكلية الحقوق، وتقلبت به الأيام ما بين التعليم والقضاء، حتى وصل إلى درجة مستشار بمحكمة النقض العليا.

حفظ الشيخ خلال مسيرته العلمية عشرات بل مئات القصائد من الشعر الجاهلي والشعر الإسلامي والأموي والعباسي، وقرأ الكثير من كتب الأدب والتاريخ وعلوم الدين والثقافة وغيرها.

شارك الشيخ وهو طالب في مقاومة الاحتلال الفرنسي لسوريا، وكانت له جهود كبيرة في ذلك، فكان يُحرّض الطلاب، ويُحرّك الجماهير، ويُسيّر المظاهرات، ويُلهب الحماس بخطبه النارية، وقد أصابه جرّاء هذا الكثير من الأذى، واعتقل وأودع السجن مرات عديدة.

ثم كان له من المواقف ما له تجاه القومية، حتى يقول في ذكرياته : 'كان عندنا في الشام – ونحن صغار – مدرسون من فلسطين ومن تونس ومن المغرب، ومدرسون من الترك ومن الأكراد، فما كنا نسأل، ولا نفكر أن نسأل عن أجناسهم ولا عن أقوامهم، ولا عن مواطنهم. كانوا مسلمين ويكفيينا أنهم كانوا مسلمين. فنشأت ونحن صغار فتنة القوميات، فقال الترك (ترك)، وقال العرب (عرب)، وقال الأكراد (أكراد)، فتفرّق الشمل، وتعددت الأمة الواحدة .. ثم يقول : وكتبْتُ في هذا عشرات من الصفحات، وألقيتُ عشرات من الخطب والمحاضرات، لنبيّن للناس أننا لا نعادي العربية، وإنما ندافع عن الإسلام، وإنما نعرف للعروبة قدرها، ولكن تحت راية الإسلام.'

يقول عن نفسه : أنّه قضى ربع قرن في القضاء كانت من أخصب سنيّ عمره.. ومن شاء مزيد حديث (في الذكريات ج ٤/١٩٨).

أما التعليم فهي المهنة التي أحبّها علي الطنطاوي، لقد كان يقول عن نفسه : أنه أقدم المعلمين في الدنيا أو من أقدمهم. وكيف لا يكون كذلك وهو قد بدأ بالتعليم ولمّا يزل طالباً في المرحلة الثانوية؟ لقد بدأ بالتدريس في المدارس الأهلية بالشام وهو في الثامنة عشرة من عمره.

وقد طبعت محاضراته التي ألقاها على طلبة الكلية العلمية الوطنية في دروس الأدب العربي وهو في الحادية والعشرين من عمره.. وهناك الكثير الكثير من القصص والمواقف والدروس التي مرّت به خلال فترة التدريس نشرها في (الذكريات أو اخر الجزء الثاني وبدايات الجزء الثالث).

أول مقال نشره الشيخ علي الطنطاوي في الصحافة كان في عام ١٩٢٦، كان عمره آنذاك في السابعة عشرة من عمره، ولهذه المقالة قصة طريفة (ذكرها في كتابه من حديث النفس ص ١٤٩) يقول : 'كتبت مقالاً و قرأته على رفيقي أنور العطار، فأشار علي أن أنشره. فاستكبرت ذلك، فما فتى يزينه لي حتى لنت له، وغدوت على إدارة المقتبس، فسلمت على الأستاذ أحمد كرد علي - رحمه الله ورحم جريدته - ودفعت إليه المقال. فنظر فيه فرأى كلاماً مكتهاً، ونظر في وجهي فرأى فتى فطيراً، فعجب أن يكون هذا من هذا، وكأنه لم يصدقه. فاحتال عليّ حتى امتحنني بشيء أكتبه له زعم أن المطبعة تحتاج إليه فليس يصح تأخيره، فأنشأته له إنشاءً من يسابق قلمه فكره، فازداد عجبه مني ووعدني بنشر المقال غداً الغد. فخرجت من حضرته وأنا أتلمّس جانبي أنظر هل نبتت لي أجنحة أطير بها لفرط ما استخفني السرور .. إلى أن قال : حتى إذا انبثق الصبح وأضحى النهار أخذتُ الجريدة، فإذا فيها المقال وبين يديه كلمة ثناء لو قبيلت للجاحظ لراها كبيرة عليه ..'.

بعد هذه المقالة لم ينقطع الطنطاوي عن الصحافة أبداً، فقد كتب في الكثير من الصحف، بدءاً من مجلتي (الفتح) و(الزهراء) التي كانت لخاله محب الدين الخطيب، مروراً بجريدة (فتى العرب)، وجريدة (الأيام)، ومجلة (الرسالة)، و(المسلمون)، و(الأيام)، و(النصر)، وحين جاء للمملكة كتب في مجلة (الحج)، وجريدة (المدينة)، وأخيراً نشر ذكرياته في جريدة (الشرق الأوسط) على مدى نحو خمس سنين، كل يوم خميس، حتى بلغتْ منتين وأربعين حلقة.. وفي كتابه الذكريات

(ج ٣٥/٢) تفصيل ممتع وأخبار كثيرة طريفة ومفيدة عن اشتغاله بالصحافة وعن الذين اشتغل معهم فيها.

إلى هنا أحسب أنني أطلت عليكم الحديث .. وحقيقة هذا كله نذر والماحة يسيرة جدا من سيرته وحياته العلمية والعملية، وإلا لو كان حديثنا مقتصر على سيرته وتعداد مناقبه فقط لكننا بحاجة إلى ساعات وساعات.

لكن أختم هذه النقطة حول حياته رحمه الله في المملكة .. في عام ١٩٦٣ قدم علي الطنطاوي للمملكة قاصدا الرياض، قاصدا جامعة الإمام محمد بن سعود، ولم يكمل سنة واحدة إلا وعاد لدمشق لإجراء عملية الحصوة في الكلية، ثم عاد بعدها للتدريس في مكة، وبقي ما بين مكة وجدة خمسا وثلاثين سنة، فأقام أولا سبع سنين في أجياد مجاورا للحرم المكي، ثم إلى جدة حتى وفاته يرحمه الله عام ١٩٩٩ .

طبعاً في مكة بدأ حياته بالتدريس في كلية التربية، ثم لم يلبث أن كُلف بتنفيذ برنامج للتوعية الإسلامية، فترك الكلية وراح يطوف على الجامعات والمعاهد والمدارس في أنحاء المملكة، وتفرغ للفتوى يجيب عن أسئلة الناس في الحرم – في مجلس له هناك – أو في بيته ساعات كل يوم، ثم بدأ برنامجه (مسائل ومشكلات) في الإذاعة، و(نور وهداية) في التلفزيون.

وهكذا حتى جاوز الثمانين من عمره، وحينها بدأ جسمه بالتعب، وما عاد يقوى على العمل، فآثر ترك الإذاعة والتلفاز، ثم أغلق عليه باب بيته واعتزل الناس إلا قليلا من المقربين الذين كانوا يأتونه في معظم الليالي زائرين، فصار ذلك مجلساً أو بالأصح منتدى أدبيا وعلميا يُبحث فيه مسائل العلم والفقه واللغة والأدب والتاريخ.

وكان الشيخ في آخر أيامه ينسى بعض شئونه، فربما صلّى الفريضة مرتين يخشى أن يكون نسيها، وربما نسي ما كان في اليوم الذي مضى، حتى أنه صار يتورّع عن الفتوى مخافة الزلل والنسيان .. ولكن الواقع – كما يقول المقربون – أنه كان قادرا على استرجاع المسائل والأحكام بأحسن مما يستطيعه كثير من الشبان، وكان حتى في الشهر الذي توفي فيه – تفتتح بين يديه القصيدة لم يرها من عشر أو عشرين سنة فيتم أبياتها ويبيّن غامضها، ويذكر العلم فيترجم له، وربما اختلف في

ضبط مفردة من مفردات اللغة أو في معناها فيقول هي كذلك، ففتح القاموس المحيط، وهو إلى جواره، بقي كذلك حتى آخر يوم، فإذا هي كما قال.

حتى كانت السنوات الأخيرة أدخل المستشفى مرات وهو يشكو كل مرة ضعفاً في قلبه، حتى أتمَّ الله قضاءه فمضى إلى حيث يمضي كل حيٍّ، وفاضت روحه عليها رحمة الله بعد عشاء يوم الجمعة الثامن عشر من حيزران، عام ١٩٩٩ - ١٤٢٠ هجرية في قسم العناية المركزة بمستشفى الملك فهد بجدة، ودُفن في مكة في اليوم التالي بعدما صلّي عليه في الحرم المكي الشريف.

✚ بعد هذا التطواف السريع والإلماحة البسيطة من سيرة أديب الفقهاء علي الطنطاوي رحمه الله، نلج إلى صلب موضوع أمسينا وهو التعريف بكتابات ومؤلفات الشيخ علي الطنطاوي ..

وبإمكاننا أن نُقسّم كتب الشيخ علي الطنطاوي (تقسيمًا فنياً)، إلى خمسة أقسام :

قسم من الآثار القديمة لعلي الطنطاوي، وهي الكتب التي نشرها في مستهل حياته ونفدت فلم يُعدّ طباعتها.

وقسم الكتابات الأدبية (الأدبيات).

وقسم الكتابات الإسلامية (الإسلاميات).

وقسم الكتابات التاريخية (التاريخيات).

وقسم السيرة الذاتية (الذكريات).

مرّ معنا فيما مضى أن الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله قد نشر أول مقالة له في صحيفة المقتبس، ولما يتمّ السابعة عشرة من عمره، ثم هو لم يتوقّف على الكتابة حتى آخر سنيّ حياته، فاحسبوا خلال سبعين سنة أمضاها وهو يكتب؟ وقدّروا كم

كتب من الصفحات، فهو قد كتب في كل ألوان الكتابة : (المقالة، والقصة القصيرة والطويلة، والمسرحية) حتى قال بعضهم : أنه قد تجاوزت كتبه الخمسين كتاباً، وعشرات الرسائل الصغيرة، أما ما لم يُجمع في كتب – مما نُشر من مقالات – فيبلغ المئات، منها - كما يقول مقربوه – مقالات ضاعت أصولها وفُقدت الصحف التي نُشرت فيها أول مرّة، ومنها ما جُمع مؤخراً ولا زال هناك بقية لها، مثل الجزء الثاني من كتاب (مقالات في كلمات)، وكتاب (فصول اجتماعية).. وغير ذلك.

القسم الأول من آثار الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله، والتي قلنا أنها كتب نُشرت أولاً ثم نفدت طبعاتها، ولم يُعدّ طباعتها : من ذلك كتاب (الهيثميات) وكتاب الهيثميات له قصة طريفة ذكرتها إحدى بناته في حوار صحفي معها، وهو أن الشيخ الطنطاوي كان يتمنى أن يُرزق بولد يحمل اسمه، وكان يود تسميته (هيثم)، وسمّى كتابه باسمه، وكان هو أول كتاب يطبعه في سنة ١٩٣٠، ولمّا يتم الحادية والعشرين من عمره .. إلا أن الله لم يشأ أن يأتيه الولد، فجاءته في الأولى بنت سماها (عنان) على اسمه (علي) واسم زوجته (عائدة)، ثم قرّر أن يُسمّي المولود القادم (عزام)، وشاء الله أن تأتي بنت فسماها (بنان)، ثم أصبحت قافية الأسماء (ان) بيان أمان يمان، وبعدها قرر تسمية الولد إن جاء "أبان"، لكن الله شاء له أن يكون أبا البنات، وكان فخوراً بذلك، ويذكر دائماً أن الله وعد من ينجب ثلاث بنات ويحسن تربيتهن بالجنة. وإذا كان الشيخ حقيقة لم يُنجب أبناء من صلبه، فإنّ له أبناء بررة منتشرين في أنحاء العالم الإسلامي وخارجه، لا ينتمون له بالنسب، ولكن بالفكر والروح.

وكتاب (الهيثميات) يضمّ مجموعة من المقالات التي نشرها في تلك السنة في مجلة (فتى العرب، والزهراء، والناقد)، وعددها اثنتا عشرة مقالة، وقد جاء الكتاب في تسعين صفحة من القطع المتوسط.

أما أولى الرسائل، فقد كانت بواكير كتاباته (رسائل في سبيل الإصلاح)،

نُشرت سنة ١٣٤٨، وهي عبارة عن أربع رسائل، وعندما طُبعت هذه الرسائل وكانت تحمل لغة قوية وحماسة الشباب، جاءت عليها الكثير من الردود، من ذلك كتاب للشيخ أحمد الصابوني (الإفصاح عما في رسائل الإصلاح).

بعدها في السنة التالية صدرت له سلسلة جديدة بعنوان (رسائل سيف

الإسلام)، وهذه أيضا لها قصة طريفة، أنهم كانوا مرة في مجلس ووقف عليهم شاب من دعاة البهائية، وكان يدعوا لعقيده، فلما طال، يقول الشيخ : قلت له دعك من هذا الكلام، فالمسألة مسألة مال، فكم تدفع إذا أنا اتبعتك؟ فأخرج ليرتين ذهبيتين، فأخذها الشيخ، فكتب الرسالة الأولى من (رسائل سيف الإسلام) ردّ فيها على البهائية، وكتب على غلافها : طبعت بنفقة فلان (ونكر اسم ذاك الشاب) وهي توزع مجانا.

طبّع له بعد ذلك كتاب (بشار بن برد)، ونشر عام ١٩٣٠، وهو تدوين لبعض

محاضراته التي كان يُلقبها على طلاب الكلية العلمية الوطنية في دمشق في تلك السنة، وهو كتاب يقع في أربع وتسعين صفحة من القطع الصغير.

وبعض الكتب القديمة أُعيدت صياغتها بأسلوب جديد، من ذلك كتاب (عمر بن الخطاب)، الذي نُشر آنذاك في جزئين عام ١٩٣٤، في نحو ثمانمائة صفحة، أُعيدت صياغته ليصبح الكتاب الذي بين يدينا (أخبار عمر).

كذلك كتاب (من التاريخ الإسلامي) الذي نُشر عام ١٩٣٩، صار بعد التعديل هو (قصص من التاريخ).

أخيرا يتبقى في قائمة الكتب التي من القسم الأول؛ كتاب (المحفوظات)، وكتاب (بلاد العرب)، فكتاب المحفوظات صدر عام ١٩٣٦، وهو في الأصل كتاب مدرسي، يضمّ نحو من ثلاثين درسا في الأدب.

وأما كتاب (بلاد العرب)، فهو من الآثار القديمة التي فُقدت، ولم يُعثَر إلا على أوراق مبعثرة منه، وهو يظهر أنه عبارة عن رحلاته (للشام والحجاز والعراق).

القسم الثاني من كتابات الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله؛ قسم

(الأدبيات)، وتكاد كل كتب الشيخ علي الطنطاوي هي في الأدبيات، كونه الشيخ أدبيا من الطراز الرفيع، حتى لو كان ذلك البحث أو الموضوع الذي يكتبه تاريخيا أو علميا، فكان يصوغه بأسلوب أدبي راقى .. لكن نحن سنذكر هنا في هذا القسم الكتب التي لم يطبعها طابع آخر مميز غير الأدب (كالسيرة الذاتية أو الكتابات التاريخية أو الإسلامية).

وغالب هذه الكتب هي مجموعة من المقالات التي نُشرت في ظروف وأزمنة متباينة، وبعضها قد مضى على نشرها (سبعون أو ستون أو خمسون عاما)، وهي بين يدينا اليوم كما كتبها الشيخ رحمه الله، لم يُزدُ عليها، ولم يُنقص منها شيء.

نعددها إجمالا : كتاب فِكر ومباحث، وكتاب صور وخواطر، وكتاب مع الناس، وكتاب هُتاف المجد، وكتاب مقالات في كلمات، وكتاب قصص من الحياة، وكتاب صيد الخاطر (تحقيق وتعليق).

نحاول أن نمرّ عليها تعريفا سريعا واحدا واحدا ..

كتاب فِكر ومباحث : كتبَ الشيخ ثلاثة أرباع الكتاب وهو لم يبلغ الثلاثين من عمره، ويقينا أنك حين تقرأ مقالات الكتاب - التي بلغت خمسا وعشرين مقالة - لن تظن إلا أن الذي كتبها أستاذ متمرس في أرقى الجامعات .. بلغت عدد صفحات الكتاب ٢١٢ صفحة.

من أقدم مقالات الكتاب وأنفعها؛ مقالة بعنوان (كيف تكون كاتباً) نُشرت سنة ١٩٣٢، وقد بسّط في هذه المقالة الطريقة الصحيحة المنهجية للكتابة، وذكر أن الكتابة تمرّ بمراحل أربعة : الجمع، والاصطفاء، والترتيب والتصنيف، واختيار الأسلوب.. وفي الكتاب أيضا مقال قريبٌ من هذا بعنوان (مقالةٌ في التحليل الأدبي)، وفيها حديث عن الأدب والنقد، وعناصر التحليل الأدبي.

وفي الكتاب أيضا أبحاث أخرى عميقة؛ كـمقال (بين العلم والأدب)، ومقال (الملكة والثقافة)، و(في النقد)، و(الأدب العربي في مدارس العراق)، و(الترجمة والتأليف) .. وغير ذلك.

وقد أفردت بعض مقالات هذا الكتاب في رسائل مستقلة، كـمقالة (غزل الفقهاء)، ومقالة (من شوارد الشواهد) ..

وأنصح بقراءة مقال مهم في هذا الكتاب بعنوان (الحلقة المفقودة)، والتي في تشخيص حقيقي للداء الذي نعيشه اليوم بين النظر للثقافة الإسلامية والثقافة الغربية.

الكتاب الثاني : صور وخواطر : ويُعتبر هذا الكتاب قد جمع أطرف وأظرف

المقالات التي كتبها الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله، يضم الكتاب ثمانيا وثلاثين مقالة، ويقع الكتاب في ٢٨٦ صفحة، من أبرز هذه المقالات مقالة (يا بنتي)، طُبعت في رسالة صغيرة مفردة، وبلغ ما طُبِع منها قرابة المليون نسخة. وقرينتها مقالة (يا ابني). كذلك من مقالات هذا الكتاب التي أفردت في رسالة مستقلة (حلم في نجد) وهو أشبه بديوان جمع فيه الشيخ مما قيل في نجد من الشعر وما أنشد فيها من القصائد.

في الكتاب كذلك عدد من المقالات الطريفة التي أكاد أجزم أن أحدا لا يملك أن يقرأها بغير قهقهة، كـمقال (أعرابي في الحمام)، و(أعرابي في سينما)، و(مجانين)، وفيه مجموعة من أخبار عقلاء المجانين، من مثل خبر الجاحظ الذي نسي كنيته وطفق يسأل عنها حتى جاءه ابن حلال بالبشارة بلقياها.

وفيه أيضا مقالات فلسفية، من مثل مقال (السعادة)، و(بيني وبين نفسي)، و(بين البهائم والوحوش).

وفيه مقالات اجتماعية، من مثل مقال (تسعة قروش)، و(اعرف نفسك)، و(في الترام).

كتاب مع الناس : وهو كتاب من اسمه يهتم بقضايا الناس وهمومهم ومشكلاتهم،

يحوي قرابة أربعين مقالا اجتماعيا واقعيا، وهذه القصص كانت في الأصل حديث أسبوعي للشيخ يُذاع كل يوم جمعة على إذاعة دمشق.

من أبرز مقالات الكتاب، مقالة بعنوان (لصوص الوقت)، يتكلم فيه عن مشكلة الاستهتار بالوقت، والوعد الشرقي والوعد الغربي.

كتاب هتاف الجدد : في هذا الكتاب خمس وثلاثون مقالة، يقع في ٢٢٨ صفحة، وهو أشبه بديوان من دواوين الحماسة، شنّ في مقالاته حرباً عنيفة على أعداء الأمة المستعمرين، على فرنسا في الشام والجزائر، وعلى إنكلترا في مصر وفي فلسطين وفي اليمن، وعلى إيطاليا في ليبيا، وعلى اليهود أيضاً.

كتاب مقالات في كلمات : كما هو واضح من عنوان الكتاب، فهو عبارة عن مقالات صغيرة موجزة، وقد ضمّ الكتاب مئة وثلاث عشرة مقالة، أكثرها لا يجاوز الصفحتين.

وكثير من هذه المقالات تعالج مشكلات اجتماعية، مثل : نظام، الزواج من الأجنيبات، شحاذون، أكرموا الفلاحين .. وغير ذلك.

وهناك مقالات طريفة كـمقال : حمار يسوق سيارته، يقول : ' رأيتُ مرة دباً يركب الدراجة على المسرح، وسمعت عن كلاب تحمل السِّلَال وتغدو على السوق فتشتري الفاكهة، وفي كتاب كليلة ودمنة أخبار من ذلك، ولكن أعجب هذه الأخبار وأبعدها في الإغراب أن يسوق حمار سيارة! وما كنتُ لأصدّق ذلك لولا أن رأيتُه أمس بعيني، وكاد يدعسني. لا، لا تظنوا أنني أمزح أو أتخيّل، إنني لا أصف إلا ما جرى ...' أترككم تستمتعوا بقراءة القصة بأنفسكم.

كتاب قصص من الحياة : وفيه سبع وعشرون قصة قصيرة، وفيه يتجلى أسلوب الشيخ علي الطنطاوي في كتابة القصة القصيرة، وهو أحد ألوان الكتابة الأدبية، وغالب هذه القصص تُعالج مشكلات اجتماعية وأخلاقية.

آخر هذه الكتب : التحقيق والتعليق على كتاب صيد الخاطر لابن

الجوزي، وحقّقه هو وأخيه ناجي رحمهما الله تعالى.

وابن الجوزي معروف هو من علماء القرن السادس الهجري، وقد كان أديباً فقيهاً واعظاً مفسراً محدثاً، يقول الشيخ علي الطنطاوي عن هذا الكتاب : أنّه من الكتب

التي لا أملّ القراءة فيه، حتى كدثُ أحفظه عن ظهر قلب من كثرة مطالعته، ثم يقول : ولا تخلو نظرة فيه من موعظة أتعظ بها، أو فائدة أستفيدها، أو طرفة أنس بها. وفيه فوق ذلك تحليل للنفوس ووصف للمجتمع.

والشيخ علي وضع للكتاب مقدمة بلغت أربعين صفحة، وعلّق على الكتاب بمئات التعليقات المفيدة.

🚩 **القسم الثالث من المؤلفات : الإسلاميات**، وحقيقة يصعب تصنيف جزء

من كتب الشيخ أنها في قسم الإسلاميات وغيرها ليست كذلك، فالأمر ليس كذلك، فكل كتابات الشيخ علي الطنطاوي لا تخلو من نفس إسلامي، فهو الذي قد عاش الإسلام في قلبه حيّا نابضا بالحياة حتى مات رحمه الله، لكن هو تقسيم فني تقريبي.

من الكتب الإسلاميات : فصول إسلامية، ويضم اثنتين وثلاثين مقالة، غالبها تدوين لخطب، وبعضُ خلاصة لمحاضرات.. منها ما ألقى على منبر جامع دمشق، ومنها ما ألقى في مكة في موسم الحج .. وبعض من هذه المحاضرات طبعت في رسائل منفردة، منها محاضرة : (المثل الأعلى للشباب المسلم)، والتي ألقاها في بيروت سنة ١٩٣٧، وعرض فيها الإسلام عرضا واضحا جليا مفصّلا، ثم بيّن ما على الشباب من واجبات علمية واجتماعية وأخلاقية.

وكذلك من الرسائل التي نُشرت منفردة، محاضرة بعنوان : (موقفنا من الحضارة الغربية)، وقد بلغت قرابة الثلاثين صفحة، وهي في الأصل محاضرة ألقاها الشيخ ارتجالا سنة ١٩٧٣، فسُجّلت ودوّنها بعضهم نقلا عن الشريط.

وفي الكتاب كثير من المقالات التي تُعدّ مباحث نفيسة، مثل : (كلمة في الاجتهاد والتقليد)، و(حلول قديمة لمشاكل جديدة) .. وغير ذلك.

كتاب في سبيل الإصلاح : ويضمّ ثلاثا وثلاثين مقالة، منها مقالة (أخلاقنا)،

و(مناظرة هادئة)، و(المشكلة الكبرى)، ومنها مقال ختم به كتابه وهو من أروع مقالات الكتاب، يتحدث فيه عن الجهاد بالقلم، عنوانه (أين الأعلام؟).

كتاب تعريف عام بدين الإسلام : يقع في ١٩٠ صفحة، نُشر أولاً كمقالات في جريدة المدينة السعودية، ثم طُبع ككتاب، وقد وصلت عدد طبعاته بالعربية قرابة الثلاثين طبعة، وهو قد أراد هذا الكتاب أشبه بالكتاب المختصر البسيط الذي يمكن الداخل في الإسلام من فهم الدين كلّه في ساعة، كما كان حال الأعرابي الذي يقدم على النبي صلى الله عليه وسلم فيجلس بين يديه ساعة واحدة، فلا يقوم إلا وقد فهم الإسلام وصار من المبشرين به والداعين له.. ولتأليف الكتاب قصة طريفة ذكرها في مقدمة الكتاب.

كتاب الفتاوى : وهي كما ترونها في جزئين، ضمت قرابة الثلاثمائة مسألة مرتبة على اثنين وعشرين باباً، وهي في الأصل فتاوى قد نُشرت في جريدة (الشرق الأوسط) السعودية.

🚩 **القسم الرابع من تأليف الشيخ علي الطنطاوي : التاريخيات، وكان**

الشيخ رحمه الله يُحب القراءة كثيراً في كتب التاريخ، حتى يقول عن نفسه :
أنّه قرأ في شبابه كتب التاريخ الطوال؛ كتاريخ الطبري، والكامل لابن الأثير، والبداية والنهاية لابن كثير، وتاريخ المسعودي، والمقدمة لابن خلدون، يقول : وقرأتُ تاريخ الخلفاء للسيوطي مرات، ونظرتُ في كتب التراجم فقرأتُ منها ما لا أحصيه .. (كما ذكر هذا في كتابه : في إندونيسا ص١٨٦).

ولذا لم يكن غريباً أن يتّجه للكتابة في التاريخ، **ففي كتابه (رجال من التاريخ)** انتقى طائفة من العظماء في تاريخ الإسلام فترجم لهم. يقول في مقدمة الكتاب :
'وكنت كلما أعددتُ حديثاً عن رجل من الرجال فُتحت لي الباب للكلام عن أقرانه وأمثاله، فحديث عن صلاح الدين يجرّ إلى آخر عن نور الدين، وحديث عن أبي حنيفة يدفعني إلى آخر عن مالك. ثم يقول : ولو أنني استمررتُ أحدث عن أبطالنا وعظمتنا خمسين سنة، في كل أسبوع حديثاً، وجاء مئة مثلي يصنعون مثل صنعي، لما نفذت أحاديث هؤلاء الأبطال العظماء'. ويقول أيضاً عن منهجه في كتابة السير والتراجم : 'وكنتُ إذا أردت الحديث عن رجل قرأتُ كل ما تصل إليه يدي مما كُتب عنه'.

له كتاب آخر بعنوان : أعلام التاريخ، وهي سلسلة تتألف من سبعة كتيبات، وكل كتيب يصل عدد صفحاته ما بين الأربعين والستين صفحة، تكلم فيها عن عبدالرحمن بن عوف، وعبدالله ابن المبارك، والقاضي شريك، والإمام النووي، وأحمد بن عرفان الشهيد، والإمام محمد بن عبدالوهاب في جزئين.

كتب كتابا عن : أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وقد ألف الشيخ علي

الطنطاوي هذا الكتاب وهو في السادسة والعشرين من عمره، والعجب ليس في تأليفه للكتاب، بل هو في ذلك العدد الكبير من المراجع التي رجع إليها هذا الشاب، علي الطنطاوي، وقد سردها في آخر الكتاب فبلغت مئة مرجع، أكثرها من الكتب الطوال التي تتصرّم في قراءة أمثالها أعمار أمثالنا، وبعض هذه الكتاب كان مخطوطا.

ثم يقول في خاتمة الكتاب : 'ومن ذا الذي يستوفي في كتاب واحد سيرة أبي بكر كلها، وهي أفضل سيرة في الإسلام بعد سيرة سيد العالمين وخاتم النبيين، وأكملها وأحفلها بكل جميل وجليل؟ ومن ذا يستوفي في كتاب واحد سيرةً يقرؤها الناقد البصير فلا يدري أنفساً بشرية يرى أم نفسُ ملك من الملائكة أودعها الله جسم إنسان من الناس؟'..

ويُعتبر كتابه عن أبي بكر الصديق هو أول كتاب كامل ألف في سيرة الصديق رضي الله عنه في عصرنا الحاضر، وهو قد أشار في خاتمة الكتاب إلى هذا الأمر، ومما قاله : أنّ هناك كُتّاب كبار وصغار منعم العقاد في العبقريات، ومحمد حسين هيكل قد أخذوا من الكتاب، دون أن يذكروا كتابي الذي نقلوا عنه. يقول: ولي على ذلك أدلة وبراهين ، سامحهم الله.

كتاب أخبار عمر وأخبار عبدالله بن عمر : وهذا الكتاب كما أشرنا من قبل أنّ أصله في جزئين بعنوان (عمر بن الخطاب)، حذف منه الشيخ وعدّل وأخرجه في هذا الكتاب الذي بين يدينا، وهو كتاب نفيس جدا على غرار كتاب أبو بكر الصديق.

وقد حُتم بثلاثين صفحة عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، وفيه فصول عن شخصيته وعبادته وزهده وورعه وأقواله وكلماته .. إلى غير ذلك.

الكتاب الخامس : قصص من التاريخ : في هذا الكتاب ثلاث وعشرون قصة، تمتد من ما بين أيام الجاهلية وحتى القرن الماضي، وقد أشرنا سابقاً أنّ هذا الكتاب كان أصله قديماً (من التاريخ الإسلامي).

كتاب حكايات من التاريخ : وهي سلسلة تتألف من سبع حكايات صغيرة، يقع كل منها في بضع وأربعين صفحة من القطع الصغير، وقد كتبها الشيخ بأسلوب مبسّط وسهل جدّاً للصغار. والناشر (دار الفكر) قد صنّفها أنها موجّهة لسن الناشئة من (١٠ - ١٢ سنة)، وغن كان في ظني هي مناسبة أيضاً لطالب المتوسطة والثانوية.

وهي سبع : جابر عثرات الكرام، والمجرم ومدير الشرطة، والتاجر القائد، والتاجر الخراساني، وقصة الأخوين، ووزارة بعنقود عنب، وابن الوزير.

له كتابين آخرين ضمن التاريخيات وهي قريبة من بعضها : الأول بعنوان

(دمشق)، والاسم الكامل له : (دمشق : صور من جمالها، وعبر من نضالها)، والكتاب يوحى لمضمونه من عنوانه، فهي مقالات عن دمشق، وفي الكتاب صور قديمة لمدينة دمشق.

والكتاب الثاني بعنوان : (الجامع الأموي)، والجامع الأموي في دمشق أيضاً (وصفٌ وتاريخ)، وهو تقريباً من أصغر كتب الشيخ حجماً، يقع في تسعين صفحة.

وهو يقول في مقدمة الكتاب في طبعته الثانية : وفي هذا الكتاب - على قصره - وصفاً وافيّاً وتاريخياً شافياً لمن أراد أن يقف على الجامع الأموي وصفاً وتاريخياً، من حين أن أنشئ إلى زماننا الحاضر.

✚ أما القسم الأخير من مؤلفات الشيخ علي الطنطاوي : وهو أجملها

وأمتعها : قسم الذكريات والسيرة الذاتية

والشيخ رحمه الله فتح عينيه على الدنيا من يوم لم تكن في بلاد العرب والمسلمين لا سيارة ولا طائرة ولا حتى كهرباء، ورحل من الدنيا وقد صعد بعض بني البشر إلى سطح القمر.

عاش رحمه الله كما مرّ معنا حَقَب متباينة، أدرك الفرنسيون وهم يقتسمون الشام مع الإنكليز، ثم عاش حتى رأتهم يرتكونها ويخرجون منها.

أدرك ولادة الشيوعية، وأدرك وفاتها.

أدرك ولادة دول، وأدرك وفاة دول.

وكتب الذكريات التي سطرها الشيخ هي على النحو التالي : كتاب له

بعنوان : (من حديث النفس)، وكتاب : (من نفحات الحرم)، وكتاب :

(بغداد مشاهد وذكريات)، وكتاب : (في إندونيسيا)، وآخرها الذكريات

الشهيرة التي صدرت في ثمانية أجزاء، ولحقها مؤخرا الجزء التاسع للفهارس والصور، وهي تُعدّ من أعاجيب كتب الذكريات في هذا الزمان، وهي شهادة بشهادة خبير مطلع على أحداث القرن.

كتاب من حديث النفس : هو عبارة عن أشتات من الذكريات؛ من ذكريات

الطفولة المبكرة، ثم ذكريات الشباب، ثم ذكريات بدايات التدريس حين تولّى تدريس المرحلة الابتدائية. وفي الكتاب أيضا مقالات يصف فيها علي الطنطاوي نفسه ويُعبّر عن عواطفه وانفعالاته، كما في مقال : (زفرة)، و(وحدة)، و(وقفه على طلل).. والكتاب يحوي ست وثلاثون مقالة في ٢٣٦ صفحة.

كتاب من نفحات الحرم : والكتاب يضمّ نوعين من المقالات؛ الأولى : تلك التي

كتبها الشيخ بعد عودته من رحلة الحجاز الشهيرة، وهي رحلة ليست ممتعة من الناحية الأدبية السردية فحسب، بل فيها أحداث ومعلومات لا تكاد تجدها في بطون كتب الرحلات، وفيها وصف للطريق من دمشق لمكّتن وفيها وصف لمكة والمدينة وحياة الناس وعاداتهم فيها في تلك الأيام والثانية : مقالات ذات علاقة بالحرم والحج.

الكتاب الثالث : بغداد مشاهد وذكريات، ويضمّ تسع عشرة مقالة، وسطرّ فيه

رحلته للعراق التي كانت عام ١٩٣٦، وقد ذهب الشيخ للعراق مدرسا في الثانوية المركزية في بغداد، ونُقل تعسفا إلى كركوك في أقصى الشمال، ثم إلى البصرة في أقصى الجنوب .. وهكذا بقي في العراق حتى سنة ١٩٣٩، وقد تركت تلك الفترة في نفسه ذكريات لم ينسها.

الكتاب الرابع : صورة من الشرق (في إندونيسيا)، ونُشر فيه قصص وأحداث

ليس فقط مرت به في إندونيسيا وحدها، بل بدأها من بداية خروجه من دمشق إلى بغداد، ثم إلى الباكستان، ثم إلى جاكرتا، واستمرت هذه الرحلة قرابة الثمانية أشهر كما ذكر رحمه الله. كان غرضها الرئيس هو تنفيذًا لتوصية المؤتمر الخاص بنكبة فلسطين، فرُشح رحمه الله لرئاسة لجنة للدعاية للقضية الفلسطينية اسمها : (لجنة الإنعاش الروحي)، وأخذ يطوف العالم الإسلامي يُعرّف بهذه القضية (قضية فلسطين).

آخر الكتب : الذكريات : وكان يود تسميتها قبل أن تُنشر (ذكريات نصف قرن)،

وهي أعلى ما يملك رحمه الله كما كان يقول.

يقول في مقدمة أول جزء من هذه الذكريات : 'هذه ذكرياتي؛ حملتها طول حياتي، وكنت أعدها أعلى مقننياتي، لأجد فيها يومًا نفسي وأسترجع أمسي'

وهو يتأسّف أن كتابة هذه الذكريات لم تكن إلا بعد أن أدركه الكِبَر، وضعفت الذاكرة. فهو يقول : 'هذه ذكريات وليست مذكرات؛ فالمذكرات تكون متسلسلة

مرتبة، تمدّها وثائق مُعدّة وأوراق مكتوبة، وذاكرة غضة قوية، وأنا رجلٌ قد أدركه
الكبر، فكَلَّت الذاكرة وتسرّب إلى مكانها النسيان؛.

وهو حقيقة لم يسر على خطة واضحة ونظام محدد في الكتابة، فهو يُصارع القُرّاء
فيقول : 'بدأتُ كتابةً لذكريات وليس في ذهني خطة أسير عليها ولا طريقة أسلكها،
وأصدق القارئ أنني شرعتُ فيها شبه المكره عليها؛ أكتبُ الحلقة ولا أعرفُ ما يأتي
بعدها، فجاءت غريبة عن أساليب المذكرات وطرائق المؤرّخين؛.

ومع ذلك جاءت هذه الذكريات – كما لم يكن يتوقع الشيخ نفسه رحمه الله – في
مئتين وأربعين حلقة، يقول في خاتمة الجزء الثامن من الذكريات : 'لما شرعتُ
أكتبُ هذه الذكريات ما كنتُ أُقدّر أن تبلغ أربعاً وعشرين حلقة، فوفق الله حتى
صارت مئتين وأربعين، وما استنفدتُ كلَّ ما عندي، ولا أفرغتُ كل ما في ذهني،
فقد جاءت على نمط عجيب، ما سرّتُ فيها على الطريق المعروف، ولا اتبعتُ فيها
الأسلوب المألوف.. إلخ ما قال رحمه الله.

ختمها بتهميش في أسفل الصفحة الأخير : مكة المكرمة، يوم ذكرى مولدي، ٢٣
جمادى الأولى، الذي يوافق هذه السنة غرة سنة ١٩٨٩.

ونحن نقول بعد التطواف مع حياة رجل وكتابات علمٍ عاش من العمر ٩٣

سنة قضاها مجاهداً بالكلمة والقلم والبيان .. لا نملك إلا أن ندعو له بالرحمة
والغفران .. والقبول والرضوان .. وأن يجزيه عن دينه وأمته، وعن العلم والأدب
والثقافة والدعوة، خير ما يجزي به الدعاة الصادقين، والعلماء العاملين، والأئمة
المهدين.